الشوارع المقفرة · فبدا كل ذلك يفتت اعصابنا · وكان لا بد وان نتخلص منهم ، وان نتمدد في مكان ما ونفكر في اشياء اخرى ، ونستريح قليلا · الزقاق المتعرج ، اسوار الباحات المطينة بالطين المخلوط بالتبن ، والمتراصة بأعواد القصب المكدسة بأطوالها المتفاوتة ، والتي كانت تفوح ببقايا من شذى صيف (هه ، صيف بعيد) ، رائحة القرية الرطبة ، وضجيج صمت الخرائب ، بدت كلها غريبة وخانقة وتافهة · والى ان تفجر غضبنا كنا قد وصلنا الى تلك المستديرة الصغيرة في اسفل القرية ، حيث كان هناك شابان من فصيل اخر يحرسان جمهورا صغيرا كانوا قد جمعوه اثناء عملية التمشيط ·

ـ « كم قطعة لديكم ؟ » سأل احدهما متبجحا بكلمة « قطعة » ، وسعيدا بمظهره ، مظهر المغتصب الكبير الفظ ·

ـ « لدينا هؤلاء » ، قال يهودا من دون ان ينظر اليهم الا بمقدار ايماءة الرأس والاشارة بعلبة الكبريت في اتجاههم حين اشعال سيجارته ·

ـ « انظروا ما اكثرهم ! » قال الشاب ، « فلو انهم قصدوا لاستطاعوا انهاءنا بالبصاق فقط · انظروا اليهم كيف يقفون ! » ·

كان ذلك الجمهور الصغير الذي يقف بجانب الجدار ، بنسائه ورجاله كل على حدة ، هامدا كسل سمك اخرج من الماء لتوه ، ولا يزال يذكر بالبحر · حملقوا الينا بنوع من التجمد واليأس ، وبلمحة بارقة مع ذلك من حب الاستطلاع الذي يطل من خلال الرعب والذل واليأس والدمار ، ومن خلال مباغتة الكارثة التي حلت لتوها · كانوا يتصورون ، على ما يبدو ، بأن ثمة طلاسم سوف تتضح لهم الان ، ويتوقعون حدثا خاصا لا بد وان يحدث ·

ولكن مويشي قال للشابين ان يأخذا هذا الجمهور المنتظر وينقلاه الى مكان التجمع ، وان يخبرا القائمين على الحراسة هناك باننا سنتابع التفتيش قبل ان نأتي اليهم ، وارسل الجيب معهما ايضا · وسرعان ما نهض الشابان وهما يصرخان في المعتقلين بحدة ، ويلوحان بأيديهما وبندقيتها كراعيي بقر في مراعي فاسباس ، متأهبين لان يقمعا ويسحقا اي تمرد كان ، لو لم ينطلق المعتقلون كلهم ويسيروا عند سماع الصيحة الاولى مباشرة ، محتشدين ، متحاشرين باذعان ، ودونما اعتراض ، ولم تكن الضجة التي اثارها الشابان الا من أجل التفاخر بالبطولة وحسب · تقدم أحد الاثنين وانتزع العصا من يد أحدهم ، عصا كروية الرأس ، ثم اكتتف بندقيته ، وامسك بالعصا المغتصبة وراح يلوح بها ، وهو يدفع هذا تارة وذاك تارة اخرى ، ويهوي بها على كل باب يصادفه ، ويطرق كل بوابة ، متبخترا باتكاء وجيه عليها وهو مفعم بالحبور · ثم انطلق الجيب ، اما اولئك فقد انحنوا بعدئذ في الزقاق المتعرج وغاصوا فيه جميعهم ·

اتجهنا نسير في زقاق متعرج ، وما أن انتهينا من التسكع فيه حتى كنا قد خرجنا من القرية ، وانفتحت أمامنا مريجة مخضوضرة ، مسيجة بعدد من اشجار الاثل ، يليها سياج لقطعة ارض اخرى محروثة · ويبدو انه كان ثمة بيدر في الخريف هنا ، فشب حبه الوفير المتساقط في ارضه نبتا غزيرا مستوي السطح وكأن قدما لم تطأه ، وزغب الندى الذي كان يتلألأ على نصاله المشعوعرة ، المغتسلة بالضوء الشمسي الشفاف ، كان يجعل من هذه المريجة المستديرة بركة بهية الخضرة وترفرف انفاسا عذبة متناعسة ، فخلبنا بمشهدها حتى اننا لم ننتبه بادىء ذي بدء لمهر كان يقف عند حدودها